العملية السياسية العراقية بصفتها العنوان المتخفي لادامة الاحتلال

حمدان حمدان *

■ من يسمع باسم السيد بابكير زيباري، رئيس اركان جيش العراق الجديد، يعتقد بأن الجيش المقصود، انما هو جيش في ادغال الفليبين، او في جزيرة جاوة او تيمور.. فالاسم لا يتطابق مع عروبة جيش العراق، ولو ان العديد من رؤساء اركان الجيش العراقي في العهود السابقة، كانوا من الاكراد، باسماء عربية ـ اسلامية، لا تعطي اشارة عن انتماء آخر، الا للعراق ذي الهوية العربية الصريحة. لا شيء مهما، طالما ان العملية برمتها، سياسية وقبلها عسكرية احتلالية، تهدف الى اخراج العراق من عروبته، والشاهد في تكاثر رموز، من هوشيار الى بابكير، ثم من شهبور الى صولاغ ومنهما الى (جعافرة) من مواطن الهند وافغانستان وفارس. فالعملية برمتها، التي بات يطلق عليها، العملية السياسية ليست سوى الوجه الآخر، لشرعنة الاحتلال وما يريده من العراق، فالعودة من شكل الاستعمار الكولونيالي المباشر، الى شكل الامبريالية الحديثة، التي تحرك دواخل مستعمراتها بخيوط على طريقة (تلعيب) الدمى، هذه العودة، انما هي الوضع الطبيعي، لجيوش غازية في ظل مفهوم العولمة، من حيث ان العولمة باختصار، هي الشكل الامبريالي الاعلى، لوضع اليد الناعمة، على الثروات الاستراتيجية (النفط مثلا)، كذلك على الاسواق اللاهفة للاستهلاك، وقوة العمل الرخيصة، حيث اجر العامل الامريكي، مع امتيازاته الاخرى (بموجب القوانين) يعادل اجور تسعة عمال في البلدان المتخلفة، وربما اكثر من عشرين عاملا، في البلدان الخارجة خروجا كليا من العصر.

ان العملية السياسية في العراق على وجه التخصيص، هي ضرب من ضروب العولمة الامريكية، التي ترتكز على حامل ثلاثي، الدولار والنفط والمدفع، ونرى هذا التمفصل الحاد، بين ما هي استراتيجيات امريكية عليا، وبين ما هو عليه اهل الاحتلال الحاكم في العراق اليوم، فالتفارق بين اهداف المحتلين، وجملة الفلسفات التي تقوم عليها، حكومة العوبة في المنطقة الخضراء، انما هو تفارق يصل حد الرثاء، ففيما ما تزال حكومة العراق الجديد، تتنافس بل وتحترب من أجل المناصب ذات المصادر المعطاءة في النهب، وفيما هي سادرة في جعير، المقابر الجماعية (طلاء العصر المبرر للعمالة)، فان واشنطن بالمقابل، عاكفة على اجتذاب آخرين الى العملية السياسية، سواء كان الآخرون، من العشائر العراقية، او من جيوش دول عربية واسلامية، حيث جولات رامسفيلد البعيدة عن العراق، تهتبل فرصة تقريب البعيد، من عشق أباد واسلام اباد، مرورا بالرباط وتونس وربما الجزائر تحت اغواء المعونة والقروض!

فالعملية السياسية، بصفتها العنوان المتخفي لإدامة الاحتلال جوهريا لا شكلا، هذه العملية ليست عراقية داخلية صرفة، وفي التحليل الاعم، فانها بدأت مع بداية الاستدارة الاعتذارية الامريكية، لقارة اوروبا (العجوز حسب رامسفيلد)، حيث ارسلت السيدة السمراء كوندا، خطابات رقيقة للحليف الاوروبي التاريخي، علّه يتراجع عن ممانعاته (روسيا والمانيا وفرنسا بشكل خاص)، فيوافق على ارسال حلف الاطلسي، شريكا كاملا في كعكعة العراق التي احترقت.

ولأن الدول الاوروبية، هي دول حداثة ايضا، فانها حاذرت الوقوع في الفخ، فلو كانت امريكا صادقة مع حلفائها الاوروبيين، لدعتهم الى الوليمة منذ البداية، حين كان الاستفراد هو سيد الموقف، حتى لو ادى ذلك الى التنكيل بالشرعية الدولية، مع (وجوب دخول النظام العالمي الجديد في مقولات ومصطلحات فكرية ـ سياسية تتلاءم وطبيعة العصر، حسب اقوال اخيرة للسيدة كوندا رئيسة الدبلوماسية الامريكية التي تجيد العزف على البيانو ايضا).

وفي المرحلة المتوسطة من عمر العملية السياسية، فان واشنطن حاولت اغراء الايدي المهيمنة على جامعة الدول العربية (مصر والسعودية) وهو اغراء لا يتصل بأكثر من الوعد بادامة السلطان، ثم اضطر السيد عمرو موسى، لاستشارة الاطياف والاطراف، من ولاتنا القيمين على حياتنا ومعادنا، ويبدو انه استشعر التردد، فوكلاء امريكا في المنطقة، قدموا كل ما يطيقونه، تسهيلا لاحتلال العراق، اما ان يبعثوا بجيوشهم، ظهيرا مساندا ومباشرا لدعم وجود الغزاة، فانها مسألة تبعث على الارباك والتعثر، فاذا ما سبق لامريكا ان ضمنت بقاء واستمرار نظم عربية تابعة، فان ارسال جيوش امنية، مهمتها الاساسية هي حفظ النظام، فان في ذلك خطرا ماثلا على النظام من وجهين: الاول، وهو يتمثل في افراغ الساحة الداخلية، بما يغري على اشتداد ساعد المعارضة، والوجه الاحتمالي الآخر فإنه يكمن في فرصة التمرد والانضمام الى المقاومة العراقية، فالجيوش لا تقع عادة، في تعريف السياسات الرسمية الآمرة لها، كون المجندين بالنسبة والتناسب، يتحدرون من الاكثرية المطلقة في تعداد السكان، وهذه الاكثريات سواء كانت قومية او دينية، فانها ساخطة على ما يجري في العراق، وهو ما يضع التمرد كاحتمال اقوى بين احتمالات.

وفي المرحلة ما قبل الاخيرة، من شعار العملية السياسية المراوغ، فان واشنطن حاولت استرضاء طهران، باغوائها في حصة شراكة مبتذلة، لكن الوقت كان قد فات زمانه، فلو ان العرض الامريكي كان قد قدمه بريمر (اي مع بداية الاحتلال)، فان طهران لا تمانع في قبوله، والشاهد ان طهران، عبر قنواتها السرية، كانت تطلب تنسيقا (بلغة اخرى شراكة) مع الغزو، كما كان واقع الحال في افغانستان، لكن امريكا حينها، الطامعة بالاستفراد، رفضت ان تعطي اذنا لرغبة من شريك صغير، اما ان يأتي العرض من زلماي خليل زاد، فان الصين ضيعت اللبن، وان شأن ايران في العراق اليوم، يعطي الفرصة لرفض ما كانت رفضته امريكا من قبل.. فايران اليوم، محتل اول للعراق، فيما امريكا ـ نتيجة ضربات المقاومة ـ في شغل شاغل للبحث عن خشبة خلاص، تحفظ ماء الوجه للقطبية العالمية، في وقت تنقلب لعبة العملية السياسية، لصالح اشياع ايران في العراق.

ولعل اخطر ما في الالعاب السياسية في وضعية مقاومة ضد احتلال، هي ان تؤخذ القضية من داخلها، فقد حدث ذلك في تاريخ الثورات ضد الغزاة الاجانب، وتتلخص المخاطر في القدرة على صدع الصف الوطني، الذي هو اطار المقاومة وملاذها، تحت اسماء كثيفة من العقلانية وتأمين الحماية والعودة الى جادة التفاوض الهادف لتحرير العراق.. وغير ذلك مما تحمله لوائح ذرائعية، بمقتضى التعب او اهتبال فرصة القبض على منصب، فقد تداعت اركانات، ظلت في صف مناهضة الاحتلال، مع التشريط بوضع تاريخ محدد للرحيل.. تداعت وازدلفت في مشروع نقيض فالالتحاق بركب النزول الى ساحة الانتخابات، وهي درة التاج فيما يسمى بالعملية السياسية، هذا الالتحاق كما تقول العرب، هو بداية الوهن، فالاحتلال لم يعط اجندة للرحيل، وتعديل الدستور (البريمري)، اقرب الى مشاهدة الطير الخرافي المسمى بالعنقاء، خاصة وان ديمقراطية العددية الطائفية والاثنية، رفعت الى مقاعد الجمعية، نسبة الثلثين وربما اكثر، وان الالتحاق بالانتخابات اضعف جبهة المناهضة للاحتلال، وتاليا جبهة المقاومة الفاعلة على الارض، وشد من أزر، دعاة بقاء الاحتلال، وفوق ذلك والى جانبه، اضاف بعدا تقسيميا زائدا في جبهة الشعب الوطنية، وذلك بسبب كثرة الاجتهادات والوعود المبنية على التوقع لا الواقع، فالهرولة الى العملية السياسية، لا تعطي الحماية لمنطقة او محافظة، فسياسات وزارات الداخلية والدفاع والميليشيات البدرية والبشمركية، ترسم على هدي من استراتيجيات الاحتلال الامنية وليس خارجها، وطالما ان المقاومة الوطنية، تنطلق من سامراء مثلا، فسوف تضرب سامراء بكل العنف الوحشي، حتى لو كان الهاشمي او الدليمي (عدنان) او خلف العيان، رؤساء جمهورية او رؤساء وزارات سيان، كذلك هي السياسات العسكرية، تجاه كل مثلثات السنة ومربعات الشيعة، فيدرالية او كونفدرالية، مركزية او سلطانية، فالمستهدف من (العملية السياسية) هو المقاومة، اما وضع العراق كما هو حاله اليوم، فلا يخضع لأي مشروع آخر، غير تركيز واشنطن صوب القضاء على المقاومة، او الرحيل، فواشنطن لم تأت الى العراق، متبرعة بدماء وملياراتها، كرمى لعيون الشعب العراقي، وانقاذه من محنته، طالما انها هي صانعة المصائب الكبرى للعراقيين، منذ ولاية الرئيس طيب الذكر ريغان، اوائل الثمانينات، ولمن فاتته الذاكرة، فان الحصار الحقيقي والشامل، لدولة العراق استمر قرابة خمسة عشر عاما، وان العراق تعرض لثلاث حروب امريكية في غضون عقد، وان الحرب الرابعة كانت في الحظر الجوي، الذي اقتضى خمسة وسبعين الف غارة جوية، بحسب بيان هيئة العمليات في البنتاغون.. ومع كل ذلك، فان الحزب الاسلامي، بقيادة طارق الهاشمي، وتجمع المسلمين (الوقف السني سابقا) بقيادة عدنان الدليمي، وتجمع العشائر العراقية بزعامة الشيخ خلف العليان.. ثم على خطوط بعيدة، جبهة الحوار الوطني بقيادة صالح المطلك.. انما جاؤوا يلتمسون الحل في العملية السياسية، فيما لا ينجدنا العقل بالوقوف على سبب مقنع، وهل هو من قبيل الجهل او التجاهل، فالسادة من زعماء (الكيانات) المدونة اعلاه، لا يعدموا ذكاء او خبرة او ممارسة، في حقل تجربتهم السياسية التاريخية، وهو ما يدفعنا لالتماس التجاهل (وليس الجهل) كسبب دافع، وتسري شائعات منسوبة الى السفير الامريكي في المنطقة الخضراء زلماي، بأن الزعماء الثلاثة الاوائل (عدا السيد المطلك)، فاوضوا السفير على منصب رئاسة الجمهورية، مقابل انهاء المقاومة، كل على حدة، وكأن المقاومة خاتم في اصبع محكم في صفين، او في اصبع زعيم شيعي او آخر سني، وهو ما لم تدركه العقول الضامرة حتى اليوم، فالمقاومة هي مشروع عظيم، يتماهى مع كبرياء شعب فخور، هدفه طرد الاحتلال ومعاقبته على ما اقترفت يداه من جرائم، بحق حرائر العراق وشبانه وشيوخه واطفاله (مشهد الفتية البصراويين تحت العصي والركلات) مع المشهد المخزي الجديد لابو غريب حسبما اورده الاعلام. فانهاء المقاومة، ليست كلمة على لسان زعيم مفتون بنفسه، او في مخيال تافه عن عظمته، فاذا صادف ثمة عظمة في تاريخه السياسي، فلأنه انتسب الى منطق المقاومة ذات يوم، فيما المقاومة لا تنتسب الى فرد.. ومن هنا فان المقاومة بذاتها، ليست سنية او شيعية، ولا هي كردية او عربية، او تركمانية او آشورية، انها هؤلاء جميعا، حتى لو جاءت مرحليا، على كثافة معينة، فالخروج الى العملية السياسية، كان بالاساس، خروجا على منطق المقاومة، وقد حذرنا في حينه، عبر صفحات «القدس العربي»، بأن الرهان خاسر في جميع الاحوال، فالانتخابات تجري في ظل احتلال، ولن يترك الاحتلال نتائجها، تطير مع سرب آخر غير سربه، حتى لو كانت الاكثرية الفائزة من اشياع ايران، فما يجري اليوم، على يد واشنطن، هو زرع الشقاق في صفوف هذه الاكثرية، لا بدءا من منافسة عبد المهدي لابراهيم الجعفري فحسب، بل بين الائتلاف والائتلاف، وبين الشيعة والاكراد، وبين السنة والسنة، الى ان تفلح (العراقية) بزعامة السيد علاوي، في الوصول الى ما لم تصل اليه عبر صناديق الانتخابات، حيث كانت ايران اقدر على التلاعب بالعملية السياسية.

لقد دفعت جبهة التوافق السنية، العراق، خطوة زائدة نحو اللبننة، اي التوافق على نظام الطائفية في اقتسام العراق، وهو هدف لا يقع بحال على برنامج المقاومة الوطنية المقاتلة بشرف.

ولن يتذرع بعدم وجود برنامج سياسي للمقاومة، فعليه ان يلتحق بفلسفة بيزنطة، فالمقاومة لها برنامج عظيم، لا تتسع له مكتبات في مغزاه وشموليته وممارسته، وهل طرد القوى الاحتلالية العظمى من العراق، يمكن ان يكون بلا برنامج، وهل هو بالشيء القليل، ان تدعو المقاومة لاقامة دولة المواطنة بعد رحيل الغزاة، قد تكون عناوين كبرى بحاجة الى تفاصيل، ومن يصنع التحرير قادر على صنع التفاصيل، وهي مهمة تقع على موائد المحررين اخوة الشهداء في معركة شاقة، التمس فيها العديد عذر العقلانية للهروب وليس اكثر.

*كاتب من فلسطين يقيم في دمشق

المرض الذي يعاني منه النظام المصري منذ قرن

محمد عبد الواحد*

■ جميع أعراض انفلونزا الطيور، تبدو واضحة على جميع الجوارح التي تحكم مصر وبحسب المتخصصين فإن أبرز اعراض المرض تتلخص في القيء والاسهال والدوار الشديد الذي تتعرض له الطيور المصابة بالمرض، وهي اعراض يعاني منها كل المسؤولين في مصر، إذ ـ رغم مرضهم ـ لا يتوقفون عن تقيؤ التصريحات على وجوهنا، منذ سخر الرئيس مبارك في عصر ـ اقصد ولايته ـ ما قبل تاريخ انفلونزا الطيور، من ان المصريين تعودوا الرفاهية، حيث يشربون الشاي ويضعون عشرة ملاعق من السكر في الكوب الواحد، وأذكر وقتها ان الكاتب الراحل أحمد بهاء الدين كتب في عموده الرائع في جريدة «الاهرام» مذكرا الرئيس بأن المصريين لا يعرفون من انواع الحلويات سوى الشاي، وليست لديهم القدرة على شراء الجاتوه، وبعدها ـ كمدا ـ دخل الكاتب الشريف في غيبوبة وتوقف قلمه عن الكتابة، ودخل غيره في غيبوبة الرئاسة ولم يتوقف عن التصريحات، اما الاسهال فكل المسؤولين في مصر مصابون به، وربما كان شرط توافرالقدرة على اسهال الكذب والنفاق شرطا لكي يصبح المرء وزيرا، حيث يسهل عليه تحميل الغريق مسؤولية غرقه، سواء في عبارة او اسفل عمارة منهارة، ومن علامات الاحتشام ان يتوارى المصابون بالإسهال خلف ابواب الحمامات، لكن المسؤولين عندنا يمارسون ذلك علنا فوق صفحات الجرائد وشاشات التليفزيون، الى الدرجة التي يعلن فيها أقرب شخص الى رئيس الجمهورية متفاخرا، «نعم ممدوح اسماعيل صديقي وليس شريكي»، والاستاذ العلامة ممدوح اسماعيل حفظه الله ذخرا للنظام، ليس عالما أو قدوة في أي شيء سوى في إقامة الحفلات والفرفشات، في الفندق الذي يمتلكه في مصر الجديدة، بالإضافة الى تخصصه النادر في قتل المصريين واغراقهم في البحر الاحمر، من دون ان يخسر مليما واحدا، فالغريق هو الذي يدفع قيمة تذكرة سفره الى الدار الآخرة على عبارات السلام التي يملكها صديق الرئاسة، وإذا تفضل الرجل وتنازل عن بعض التعويضات التي تدفعها له شركات التأمين، واعطى بعضها لاهالي الضحايا، تشكره الحكومة، ويعينه رئيس الجمهورية امينا لحزبه، في الدائرة التي يسكنها الرئيس ـ مصرالجديدة ـ ويزيد له حجم التعويض، فيعينه عضوا في مجلس الشورى، ليشير عليه بالمزيد من الوسائل السريعة لمساعدة النظام في التخلص من المصريين الذين لا يتوقفون عن اهدار السكر والشاي، و(زرب) العيال.

اما الدوار الذي يعانيه نظام انفلونزا الطيور الذي يحكم مصر، فلا يحتاج الى أمارات، تكفيك تلك الشيخوخة البادية على الوجوه واللاأفكار، والتي وصل الدوار بهم الى حد انهم يسمونها «فكر جديد»، وفي نهاية الأمر تكتشف ان الفكر الجديد ليس سوى «فشر» جديد، إذ يتصور ابو لمعة انه اكثر شبابا من ابنه «لمعة»، لمجرد انه ارتدى قميص الابن الشاب، وانه اصبح يقص شعره الذي شاب بطريقة جديدة وصبغة جديدة، فأن يرتدي الابن لباس ابيه، امر عادي كنوع من التشبه بالكبار، لكن ان يحدث العكس، يصبح الامر حالة من فقد الاحساس بالزمن، وان الارض تدور حول نفسها كل اربع وعشرين ساعة ـ على رأي فؤاد المهندس في مسرحية السكرتير الفني ـ لكن المصاب بالدوار يرى الارض ثابتة تحت قدميه، ويؤكد شعوره بذلك كل الذين يدورون في فلكه، إنه دوار السلطة الذي يفقد صاحبها الشعور بمن يتسلط عليهم، فهو لا يملك الاحساس بهم، لا يراهم، وان حدث، وشاهدهم في مبارة لكرة القدم، فإنه يراهم على طريقة المتنبي الذي لم يكن يرى سوى نفسه ويقول عن جموع البشر «ارى زحاما ولا ارى احدا» ويقول غيره «هذا الزحام لا أحد»، لكن الشعراء لا يحكمون الشعوب، وليسوا مسؤولين عن حمايتهم من الغرق في الفقر والظلم والقهر.

لقد اصابت انفلونزا الطيور دجاج وديوك وبط النظام الحاكم في مصر، وبلغت إصابته حد أنه يخترع كذبة، ثم يتوهم أنها حقيقة، بل أصبح لا يصدق سوى الوهم، ويتصور ـ مثلا ـ أن مشهد الجماهير التي توافدت لمتابعة مباريات كأس الأمم الافريقية لكرة القدم، هو دليل عودة الروح لمصر، وهي كذبة تؤكد أنه نظام طلعت روحه منذ زمن طويل ويتصور انه ما زال حيا، فهؤلاء العاطلون عن العمل ذهبوا الى الاستاد كنوع من التغيير من المقاهي الى الاستاد، انهم شباب فقدوا الامل واكتسبوا احباطا، جعل الجالسين في المقصورة الرئاسية يتوهمون ان هذا الصراخ والتصفيق في حب مصر، انه صراخ المكبوتين، الصراخ الذي تسمح به خراطيم مياه الامن المركزي، الصراخ الذي تحرسه عيون امن الدولة بحنان، وتشجع عليه، لأنه صراخ لا يكلفها الجري وراء هؤلاء المشجعين في المظاهرات، ان النظام الذي يرى فرقا بين تجمع مئات الالاف حول مباريات كرة القدم، وتجمع المئات في المظاهرات التي تندد به، هو نظام فقد وعيه ونوره وظله، فهذه المئات من هذه الالاف، مع اختلاف بسيط في الاولويات، لكن المعاناة واحدة، والقهر متطابق، فليست فراخ النظام المصابة بالانفلونزا هي القادرة على متابعة مران الفريق القومي لكرة القدم، في الوقت الذي كانت تتابع فيه اسماك البحر الاحمر حفل عشائها بجثث محكومي هذا النظام، وانما بقية هؤلاء المحكومين لديهم القدرة نفسها على التكيف، لكن هؤلاء المحكومين لم يصبهم دوار الحكم، وان بدت عليهم هم ايضا اعراض انفلونزا الطيور، الا انهم لا يأكلون الطيور من الاساس، احيانا يأكلون ارجل الفراخ، لكن ذلك منذ زمن، يسبق ظهور المرض، وليس من ان المرض لا ينتقل بالدرجة الاولى سوى بطريق الاحتكاك، بين الفراخ المصابة وبين الانسان، والحمد لله فالناس لا ترى أحدا من فراخ ـ او كتاكيت ـ النظام إلا من وراء زجاج شاشات التليفزيون، فلا مجال للإحتكاك، وانصح كل من يقرأ جريدة وفيها صورة مسؤول في نظام الحكم، ان لا يحتك بها، وان حدث مستحيلا ان ينتقل قريبا صراخهم من اسفل اقدام لاعبي الكرة، الى أعلى مقصورة في استاد الوطن، إنني ألتمس العذر لهذه الجماهير، وألومهم لانهم لا يشاركون بالحماس نفسه، في مباريات منتخب الهم الوطني، فالمباريات التي تنصب لهم تتوالى، من العبارة الى اختفاء السكر وظهور انفلونزا الطيور، ومن قبل ومن بعد الرسوم الدنماركية التي أساءت الى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي أمور يتعامل معها النظام باعتبارها هدايا من السماء، يستثمر بعضها ضد المصائب التي يقترفها على الأرض، والفرح الصبياني بهذه الهدايا المزعومة، ربما يصبح سببا ليتذوق هذا النظام طعم المآتم، فالناس تلتقط الطعم، وتخرج لتسب الدنمارك، ويفرح النظام بصيده الجديد، وتنسيه شيخوخته المزمنة، ان المشاركين في تلك المظاهرات، يلعنون الدنماركيين الذين يحكمون مصر، واعماهم الزهايمر عن التمييز، بين أهالي ضحايا العبارة، وبين عصابة خط العيد خالد الذكر عزت حنفي، لقد تعامل امن النظام الدنماركي مع الأمرين بالطريقة نفسها، باعتبار أن ضحايا العبارة والخط.. كلهم صعايده!

ان اكثر ما أخشاه، ان تنتقل انفلونزا الطيور التي اصابت نظام الحكم في مصر الى شعبها، لكن أملي كبير في صحة ما يقوله خبراء منظمة الصحة العالمية، من ان المرض لا ينتقل بالدرجة الاولى سوى بطريق الاحتكاك، بين الفراخ المصابة وبين الانسان، والحمد لله فالناس لا ترى أحدا من فراخ ـ او كتاكيت ـ النظام إلا من وراء زجاج شاشات التليفزيون، فلا مجال للإحتكاك، وانصح كل من يقرأ جريدة وفيها صورة مسؤول في نظام الحكم، ان لا يحتك بها، وان حدث الامر سهوا، فليسرع بالإستعاذة من الفيروس الرجيم، وغسل يديه من اصحاب العبارات واصدقائهم ورؤساء اصدقائهم، ولا تنتظروا المساعدة من مسؤولي دولة قتلت ألفا من أبنائها بالأمس في البحر الأحمر، ونسيتهم منذ أول أمس، لتواصل الإهتمام بانفلوانزا الطيور، لانه اهتمام غير بريء، ولعل سببه أنه من السهل ـ هذه المرة ـ إلقاء اللوم على الضحايا، الذين يسكنون في العشش العشوائية، فوق أسطح المنازل، ولا بد من قتلهم جميعا، منعا لانتشار المرض، وعندها يصبح قتل الفراخ دفاعا عن الوطن، وينسى قادة النظام ان هؤلاء الجنود الذين يدفعون بهم الى ارض المعركة، لا يختلفون عن العدو في شيء، فالفراخ والجنود من ذوات الإثنين وليس الأربع، ويسكنون معا العشش العشوائية نفسها.

انني اتمنى على قنوات السرايا الصفرا في ماسبيرو، ان لا تزيد في خفة دمها بالحديث عن شفافية النظام، الذي سارع بالإعلان عن ظهور المرض في مصر، لأنه حديث يفور بسببه شيء لا يعرفونه إسمه الدم، فالنظام لم يعد يحتاج لأي رداء شفاف، فلم يعد هناك مايخفيه، وأصبح عاريا، لا يستحي من عوراته، بل يعرضها بفخر، ويكرمها، ويحصنها برلمانيا وحزبيا.

اننا في عصر تزوجت فيه البجاحة بالقهر، واصبح الفجور ابنا شرعيا ينتظر وراثة ابيه، لكن لكل عصر مغربه.

* كاتب صحافي من مصر
Mwahed39@yahoo.com

العفو العام في كل من ليبيا وسورية ومسألة انتقال السلطة في العالم العربي!

عادل الحامدي*

■ لن أتحدث عن الرسوم الكارتونية التي أساءت الأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام، على الرغم من أنها الأولى بالكتابة والتعبير، ولن أتحدث عن حرية الصحافة والفرق بينها وبين التعدي على الأديان ومقدسات المسلمين مع أنها أهم وأولى في هذا الظرف الدقيق، فأنا أكتب للعالم العربي ولقراء العربية ممن يحترمون الإسلام وأهله. فن الممكن السياسي وأحكام الواقع الصارمة ومنطق ما لا يدرك كله لا يترك جله، ذلك هو ما حدا بالقيادة السياسية الليبية إلى الاحتيال على المسلمات الفكرية والسياسية للنظرية العالمية الثالثة والدخول بها في عالم ما بعد الحرب الباردة، في محاولة قيل بأنها لا تهدف للإفلات من قبضة المارد الأمريكي الذي أخطأت صواريخه رأس قائد ثورة الفاتح من سبتمبر منذ ما يقارب العقدين من الزمن يوم دكت الطائرات الأمريكية مقر إقامة العزيز في العزيزية المصانة، بل تستهدف إعادة بناء المنظومة السياسية على مستوى العالم.

عاشت الجماهيرية سنوات طويلة تحت الحصار وما أحدثه من أضرار فادحة طالت الاقتصاد الليبي وعصفت بالحياة الاجتماعية في هذا البلد الثري حتى أتى حين من الدهر على الليبيين لا يجدون الدواء الكافي ولا الشراب الكافي ولا حتى ما اعتاده الليبيون من طعام كاف، كل ذلك والقيادة الليبية مرابطة مصابرة في وجه الغرب الليبرالي الذي أدار لها الظهر وعمل كل ما في وسعه لعزل هذا البلد العربي إقليميا ودوليا. لم تكن عملية لوكربي التي ذهب ضحيتها زهاء الثلاثمائة من المدنيين أول الجرائم المقترفة ضد الأبرياء، فقد سبق الجماهيرية إلى تلك الفعلة كثيرون في لبنان وليبيا والسودان ومصر والعراق وفلسطين جمع بينهم الإحساس بالغبن والاضطهاد، لكن تلك أحداث تجاهلها مجلس الأمن الدولي وهمشها أعضاؤه الفاعلون حتى غدت نسيا منسيا. أنهت ليبيا إذا سنوات الحصار بعد أن دفعت دية ثقيلة إلى الورثة والمنتفعين في حين ظل المقرحي سجينا يدفع ثمن خطايا سياسية ارتكبتها قيادته يوم كان الاختلاف ممكنا والمدافعة بين الأنظمة والأنساق ميسورة. المقرحي المذنب الذي لم تنجح أطنان الورق المالي ولا حتى قبر المشاريع العسكرية في الإفراج عنه، مثل سابقة في القانون الدولي فريدة، إذ لاول مرة يعدم فيها الجاني رغم دفع الدية. الغرب ديمقراطي مع الذات حتى النخاع عندما يتعلق الأمر بشأنه الداخلي، لكنه يبدو غرائزي السلوك يستنهض كل مخزونه العدائي وحتى العقائدي كلما تعلق الأمر بمصالحه الخارجية، إذ يستأسد ويتنمر ويثور لمجرد إغراق السوق الأوروبية والأمريكية بالسلع الصينية الرخيصة، وهذا مفهوم تماما، إلا أن هذا الغرب نفسه والذي تعودنا منه العقلانية والاتزان يفقد قدرته على التعاطي بنفس الحكمة والقدرة على ابتداع الحلول الوسطى عندما يتعلق الأمر بالعالمين الإسلامي والعربي على وجه الخصوص، وذلك لأسباب ثقافية وتاريخية، وليس العراق إلا مثالا صارخا على ما ذهبت إليه. في رد فعل بدا كأنه متهافت سارعت واشنطن التي كانت تعد لغزو العراق على الرد على القرارات الليبية المفاجئة بما هو خير منها، فما ان أعلنت اللجان الثورية قرارها بالمسؤولية الجزائية عن حادثة لوكربي حتى بادرت كل من العاصمتين البريطانية والأمريكية إلى الترحيب علنا بما توصلت إليه القيادة الليبية من عزم على البت الفعلي في هذه القضية التي عصفت بالعلاقات الليبية ـ الغربية طوال ما يزيد عن عقد من الزمن. وهكذا دخلت الشقيقة ليبيا المجتمع الدولي على حين غرة ولم يبخل عنها هذا الغرب بمد الجسور الديبلوماسية منها والاقتصادية، وهو ما تثمنه.

يشهد للنظام الليبي كثير من المراقبين والساسة بالفطنة والذكاء والقدرة على التأقلم مع المتغيرات الدولية، لكن ذلك لم يمنعه من المراوحة المزمنة في نفس المستنقع السياسي الداخلي، حيث أثبت عجزا كبيرا في قدرته على الانفتاح السياسي الضروري لأية سلطة تريد الاستمرار في الحكم من غير متاعب ولا تثريب. ولقد حسبنا في تلك المرحلة أن ما لوحت به القيادة الليبية من وعود بالانفتاح السياسي وما صرح به نجل العقيد من رغبة صادقة في معالجة الملفات الحقوقية والإنسانية بنفس الروح العالية التي عالجت بها ملف لوكربي، حسبنا أن سجون اللجان الثورية لن يبقى فيها سجين فكر واحد، ولكن مرت أشهر طويلة على تلك الوعود دون أن نرى لها أثرا. ولسوء حظنا فإن الإعلامين الغربي والعربي سكتا عن هذه المطالب كأن ليس في ليبيا إلا مصالح اللجان الثورية. إن الشارع العربي لم يعد يقوى رغم انضباطه الذي لا يحمد عليه على رؤية المقابر الجماعية لأمواته ومقابر يوسفية لأحيائه وهو يتابع المتغيرات المتسارعة من حوله كأنه ليس من كوكبنا في حين لا نزال نسمع عن سجناء رأي وانسداد لكل أبواب المصالحة في كل من ليبيا وسورية التي لا يزال بعض رجالاتها يواجهون مساءلة حاكم التحقيق الدولي ميليس الذي يذكرنا بسلفه بليكس واتهاماته المباشرة بضلوع أجهزتها الأمنية في اغتيال شخصية سياسية كما لو كانت لوكربي الثانية. القضاء الذي جر ليبيا إلى قاعات المحاكم الدولية وأنهى ما يربو على العقد ونيف من عزلة طرابلس الدولية، هو من يجر سورية إلى متاهات التقاضي. والسؤال هنا: هل تكفي بلاغة دبار الشام وقصائد التحدي أن تحجب شبح ما يتهددها من القوانين الدولية المدعومة بقوة المنطق والسلاح؟ وهل يمكن للنظام البعثي بكل ما يملكه من طاقات سياسية وعسكرية حافظ بها على استقلال سورية طيلة العقود الثلاثة والنصف المنصرمة أن تقف في وجه الشرعية الدولية؟ وعلى الأعراف ما بين الخيارين يتكلف ذوو الأقلام المتواضعة والقلوب المحبة المشفقة مشقة الكتابة للخوض فيما ليس من خوضه بد لنقول: إن استحفار الملفات السياسية ومحاولة البت فيها قضائيا تحت إشراف دولي يصعب أن يكون محايدا زمن استفراد الغرب العولمي الجديد بالقيادة، لا بد أن يتم في إطار أخلاقي شفاف بعيدا عن روح التشفي والثأر من التاريخ ومن شريك الأمس حتى وإن بدا مخالفا لبعض قواعد اللعبة الجديدة. وأحسب أن ردغية العقل السياسي المعاصر وكثافة «فاته» وعكوفه الشائن على المصلحة الآنية العاجلة ليست مبررا كافيا لاستبعاد قيم التسامح والتسامي بل والتعالي على الذات قدر الإمكان البشري من أجل إصلاح ذات البين وإعادة النظر البصير في الكثير من الملفات السياسية الساخن منها والبارد والعاجل منها والمعتق، وعندها لن نحتاج لديات مشطة كتلك التي انهت قضية لوكربي أو الأخرى التي تعكف على إصدارها هيئة الإنصاف والمصالحة في مغرب العرب الأقصى.

* كاتب وإعلامي من تونس
يعيش في بريطانيا

المعارك المؤسفة بين عائلتي أبو طه والمصري اهدار للدم الفلسطيني في ساحة الخزي والعار!

د.جمال المجايدة *

■ لاادري لماذا تجند السلطة الفلسطينية عبر وزارة الداخلية اكثر من 35 الف جندي وشرطي ورجل امن ؟ وهي غير قادرة ـ مع كل هذا العدد الكبير من الجنود ورجال الامن ـ على حماية ارواح المواطنين الابرياء من العبث والاقتتال العائلي الدموي المرفوض دينيا واخلاقيا وانسانيا ووطنيا!

الدم الذي اريق في خانيونس اثر المعارك المؤسفة في مدينة خانيونس بين عائلتي أبو طه والمصري، حرام، الا انه اهدر سدى لم يهدر لمقاومة المحتل ولم يهدر من اجل بناء الوطن الفلسطيني، اهدر في ساحة الخزي والعار في خانيونس الصامدة، اهدر الدم الفلسطيني البريء سدى نتيجة الجهل والعقد النفسية والتورم العائلي والتخلف، اهدر الدم البريء نتيجة ضعف السلطة واجهزتها الامنية والشرطية التي تفلح غالبية اعضائها في التظاهر من اجل الانقضاض علي السلطة طلبا للرواتب فقط.

لقد ضرب أبناء عائلتي أبو طه والمصري مثلا سيئا لمستقبل الفلسطيني بعد انتهاء عصر الاحتلال الاسرائيلي، لقد وجهوا رسالة عبر اشتباكاتهم المؤسفة التي استمرت اكثر من ثلاثة اسابيع الي جميع دول الجوار ان الفلسطينيين لايستحقون ان تكون لهم دولة او دويلة او حتي حكما ذاتيا تحت الوصاية!

هذه الصورة المرسومة عن بعد للمشهد الدامي في خانيونس، هذه هي للاسف الشديد الانطباعات التي يكونها أي مراقب عربي او اجنبي للاحداث المجنونة التي اهدرت دماء اكثر من 10 قتلى واكثر من 30 جريحا كلهم من الشباب، فالكل يتساءل الان: هل الشعب الفلسطيني مؤهل لكي يحكم نفسه بنفسه؟ ام هو بحاجة الي احتلال او وصاية او تبعية او الحاق لكي ينضبط ويحترم الانسان ويكرس مبادئ الاخلاق ويحكم العقل والمنطق والشرع الاسلامي في كل اموره العادية او العائلية او الحياتية.

ما قام به المهووسون من افراد العائلتين خارج عن الدين والملة وعن المنطق والعقل وفهم خاطئ للقوة العائلية او حساباتها الضيقة، لقد قاموا بإطلاق النار بشكل كثيف في الشوارع وروعوا الامنين، وحرقوا المحال التجارية في المدينة بالإضافة إلى تكسير ونهب محلات أخرى، كما قاموا بتدمير سيارات الاسعاف وسيارات العناية المركزة التي ناضل الشعب وصبر طويلا للحصول عليها لانقاذ جرحاه ومرضاه عند الضرورة او في لحظات العدوان الغاشم.

ما أكده الدكتور أسامة الفرا محافظ خان يونس بأن جهود المحافظة التي بذلت خلال الأيام الماضية لحل الخلافات القائمة بين عائلتي أبو طه والمصري باءت بالفشل نتيجة لتعنت بعض هاتين العائلتين هو تعبير عن واقع مرير ومأساوي، ويدلل علي غياب تام للسلطة ووزارة الداخلية التي كان عليها ان تتدخل منذ اللحظة الاولي وتطوق الموقف بالقوة وتزج في السجون كل الخارجين على القانون.

فنحن نعيش في مدنية ولسنا في غابة مثل الوحوش الادمية في مجاهل افريقيا، والأجهزة الأمنية لم تقم بواجبها الوطني الذي انشئت من اجله.

كان من واجب قيادة السلطة الضرب بيد من حديد ضد أفراد كلا العائلتين في خان يونس ورفح ولن يلومها احد، لكي تثبت هيبتها وتطبق القانون، وهذا اشرف من القول بان الاحتلال صمام امان للعائلات؟ ام ماذا نقول؟ عيب وعار عليكم جميعا ايها المتفرجون على تدمير الحلم الفلسطيني